من وراء البحار

بولونيا وحكومتها الحاضرة

يعلم المتتبعون للتغيرات السياسية فى أوربا أن الحكومة البولونية الآن هى من أتباع السياسة الروسية ، ويعلمون كذلك أن هنالك حكومة بولونية ظلت قائمة فى منفاها بلندن طوال مدة الحرب . وكان الحلفاء يعترفون بها ، وظلت انجلترا تؤيد هذه الحكومة إلى أن أرغمت فى مؤتمر يلتا على أن تعدل عن الاعتراف بها وتسحب منها تأييدها . ولقد أراد رئيس الوزارة البولونية فى لندن بعد موت الجنرال سيكورسك ، وهو مسيو ستانسلاف ميكولاجك ، أن يوفق بين الحكومتين ويمنع الشقاق ، فذهب إلى موسكو فى مايو سنة ١٩٤٥ ، واشترك فى الحكومة البولونية المؤقتة التى كانت تتبع سياسة روسيا ؛ ولكنه بعد أن أمضى سنتين فى بلاده عاد ففر منها إلى لندن فى نوفمبر الماضى .

وقد كتبت السيدة فريدة بروس لوكهارت ، وهى محررة فى مجلة « تايم اندتايد » ، ومختصة بالأمور الاسكندنافية والبولونية ، فصلا فى « مجلة القرن التاسع عشر » (عدد يناير) تكلمت فيه عن مقابلة لها مع مسيو ميكولاجك . وفى هذه المقابلة اطلعت منه على أمور كثيرة عن الأحوال فى بولونيا .

وقد ذكرت الكاتبة أنها رأته من قبل فى خريف سنة ١٩٤٦ بمدينة فرسوفيا . وكان لا يزال وزيراً فى الحكومة التى فر منها الآن ، وهى تقول : إنه كان عندئذ يشعر بعبء المسئولية للآمال التى عقدها عليه مواطنوه ، ولكنه كان أيضا يتحمل هذا العبء بسرور يساعده فى ذلك شعوره بثقة مواطنيه به . ولقد كان يعرف وقتئذ دخائل الأمور إذ رأى أنصاره يقبض عليهم أثناء الانتخاب ، ويعرف معنى الحرية كما يفهمها الشيوعيون ، ومع ذلك كان كبير الاعتقاد بسياسته ، ويرى فى وجوده ببلاده ضمانا للمعارضة السلمية النزيهة .

ولكنه فى هذه المرة عندما رأته الكاتبة فى لندن ، حين فر من بولونيا تاركا كل شىء غير الملابس التى كان يرتديها ، كان قد عراه تغير كبير ، فبدت الغضون فى وجهه ، وكان يتكلم فى حذر ويزن كل كلمة وقد زايلته الثقة وحل محلها نوع من الحيرة ، شأن من يرى آماله قد انهارت .

وقد شرح للكاتبة تسلط الشيوعيين على الحكومة فقال : إن أهم الوزارات فى يد الشيوعيين ؛ فالشرطة والجيش والاقتصاد والتربية فى أيديهم ، ورئيس الوزارة اشتراكى ، ولكن هنالك شخصا تابعا له بالاسم ، وهو مدير المناطق الغربية التى ضمت إلى بولونيا ، وهو أقوى منه فعلا وهو شيوعى . ووزير العدل اشتراكى كذلك ، ولكن المحاكم التابعة له لاتنظر فى غير الجرائم العادية ، أما أية تهمة سياسية فتحول إلى المحاكم العسكرية . ففى كل وزارة لايكون وزيرها شيوعيا لابد أن يكون الوكيل شيوعيا . والخبراء ليسوا من الشيوعيين ولكنهم يقعون تحت رقابة الشيوعية . وكل

قسم من أقسام الحكومة يكون من اختصاصه تعيين الموظفين لابد أن يكون رئيسه شيوعيا .

ومن الطبيعى أن الضمانات التى نص عليها فى مؤتمر يلتا ليست إلا حبراً على الورق .

وذكر مسيو ميكولاجك أن الناس فى بولونيا لا يتحاشون الحديث فى الترام والأماكن العامة خشية العواقب مع أن الأمر فى أيام الاحتلال الألمانى نفسه كان يخالف هذه الحال كل المخالفة ، وكان البولونى يستطيع أن يعبر عن رأيه علنا وفى صراحة تامة دون أن يخشى سوءاً ، أما الآن فان جواسيس الشيوعيين فى كل مكان .

ومما أسف له مسيو ميكولاجك أشد الأسف هو تأثير التربية الشيوعية . ففى المدارس الثانوية وفى امتحان القبول إلى الجامعة لاينجح الطالب إلا إذا تحقق مندوب اجتماعى من أنه يعتنق مبادئ الديمقراطية الشعبية الصحيحة .

وقد أخذ الشيوعيون يقوون مركزهم فى البلاد فى حين يعملون للقضاء على حزب الفلاحين البولونى الذى يرأسه ميكولاجك، فبدأت الصحف الموالية للشيوعيين تحمل عليه حملات شديدة ، وقبض على زعماء الحزب ورجال صحافته ، وكانت مكاتبه تفتش وتغلق ، وكان الضغط يتوالى على الأعضاء كى يخرجوا من الحزب . وقد حدث لأحد موظفى الحزب أن دعى للتحقيق فى ستة وعشرين يوما من أيام الشهر .

ويقول مسيو ميكولاجك إنه خشى أن يلجأ أنصاره إلى الانتقام وأن تراق الدماء، فرأى من الخير أن يفر من البلاد . وقد صحبه صديقان من أهم أنصاره مع زوجتيهما فوصلا معه إلى لندن وتابعا السفر إلى الولايات المتحدة .

وأعرب الزعيم البولونى عن خيبة أمله فى البريطانيين ، وقال إنه لم يكن ينتظر أن يفعلوا شيئا فيما يتعلق بالحكومة ، ولكنه كان ينتظر ألا يهتم البريطانيون فيسرعوا بمباركة هذه الحكومة . فمن العجيب أن حكومة لندن أسرعت فدعت رجالا من أمثال باركوفسكى وهو الرجل المسئول عن تزوير الاستفتاء ومشاجن وزير العدل .

وقال إن البولونيين يقارنون بين ماتبديه أمريكا فى إذاعاتها من صراحة لمعارضة الشيوعية ، وما تبديه بريطانيا فى إذاعاتها من مجاملة ومداهنة للحكومة البولونية القائمة .

وهو يقول إنه لم يبق فى بولونيا أى حزب يستطيع أن ينافس الشيوعيين فى تسلطهم على البلاد ، وإن السجون مليئة بأولئك الذين أيدوا المعارضة الشرعية للشيوعيين . وهو يرى أن البولونيين فى يأس من مجرى الأمور ، وأنهم ليسوا مسئولين عن الحالة التى وصلوا إليها ، بل الدول التى فرطت فى اتفاقات يلتا هى المسئولة عنها .

شكسبير واستكشافات عن حياته

فى مقال بقلم فلوريس دلاتر نشر فى مجلة « اللغات الحديثة » وهى التى تصدر فى فرنسا (عدد ٦ من السنة الحادية والأربعين للمجلة) عرض لمجهود مدام لونجورث — شمبران فى استجلاء الأسرار التى تدور حول شخصية شكسبير شاعر الانجليز

العظيم . ومن المعروف أن مدام دى شمبران تعد من أكبر الباحثين فى أمر هذا الشاعر وقد وقفت حياتها ومالها على الالمام بكل ما يزيدنا معرفة بذلك الرجل العظيم الذى أخرج تلك المسرحيات الخالدة، وقد نشرت عدة كتب وبحوث فى هذا الموضوع ولا تزال توالى ابحاثها ، وكان من نتيجة هذا الدأب أن وفقت لمعلومات كبيرة أضاءت تلك الحياة الغامضة .

وهى فى كتابها الأخير المسمى « العودة إلى استكشاف شكسبير » عمدت أولا إلى تحقيق الوقائع القليلة التى كانت معروفة عن حياته ، ثم نقبت فى محتويات المحفوظات العامة والخاصة ، فجمعت طائفة كبيرة من الوثائق من مكتبات القصور القديمة ودرستها ، كما جمعت مجموعة من المؤلفات النادرة والوثائق التى تلقى ضوءاً على القرن السادس عشر الذى عاش فيه هذا الشاعر . فهى الآن تمتلك نسخة من كتاب حوليات انجلترا واسكتلندة وايرلندة جمعها ورتبها رفائيل هولنشد ، وهذا الكتاب مطبوع فى سنة ١٥٨٥ . والأهم من ذلك انها تمتلك النسخة التى كانت لشكسبير نفسه وعليها ملاحظات بخطه كتبها بلاريب فى الزمن الذى كان ينظم فيه مسرحياته التاريخية مقتبسا موضوعاته من هذا الكتاب التاريخى الثمين .

وقد استطاعت مدام دى شمبران ، بعد أن تسلحت بهذه الوثائق الكثيرة ، من أن ترسم صورة واضحة لحياة الشاعر منذ شبابه فى بلدة ستراتفورد ثم انتقاله مرغما إلى لندن ، ثم اتصاله بحياة تلك الفئة من الشبان التى تملؤها المطامع ولم توفق بعد للعمل، وهى تجد لذتها فى حانات المدينة . ثم وصفت كيف تمكن من الاتصال بالهيئة الاجتماعية وصار صديقا للورد أوفساوثمبتون ابن عم اللورد اسكسن صاحب الحظوة لدى الملكة اليزابث . وكان هذا اللورد الشاب محبا للمسرح ، وهو الذى أدخل شكسبير إلى القصر الملكى . وهكذا وجد شكسبير طريقه ممثلا ومعدلا للمسرحيات القديمة ، ثم واضعاً للمناظر ومديراً للمسرح . وأخيراً مؤلفا مسرحياً ، وهى المهنة التى تركها عامداً وهو فى أوج نجاحه ليعود إلى بلدته ، بعد أن جمع من المال ما يكفيه فى حياته .

وهكذا استطاعت المؤلفة بمباحثها الكبيرة أن ترسم صورة لذلك الرجل من بلدة ستراتفورد الذى ينتمى إلى أسرة كاثوليكية وكيف وجد معينا فى اللورد ساوثمبتون الذى تربى تربية كاثوليكية وبذلك استطاع أن يزيد من ثقافته الريفية . وعند اللورد تعرف إلى جوفانى فلوريو وتلقن منه ما كان لدى الايطاليين وقتئذ من ثقافة عليا مع مرونة وخبرة ، وكيف اتصل بالسادة من شباب الانجليز ، فأخذ يترك عاداته القروية ، وظهرت مواهبه العظيمة بوصفه شاعرا ليس له نظير . وقد جمعت مدام دى شمبران مئات من الاشارات إليه فى مكاتبات معاصريه ، وكلها تثبت صحة الصورة التى أرادت أن ترسمها له ، وتدل على أنه كان رجلا محبوبا مقدراً من معاصريه وأن شعره حين وفاته فى سنة ١٦١٦ كان معروفا ومشهوراً بين الناس ، وكانت الأمة الانجليزية تعده مفخرة لها .

ولم تكتف مدام دى شمبران بذلك بل عمدت إلى رسم صورة سريعة وقوية ومدعومة بالوثائق للعصر الذى كان يعيش فيه الشاعر .

على أنها فى حماسها لاستجلاء حياة هذا الشاعر الكبير ، قد أهملت البحث فيما يتصل بنقد رواياته . وهى الابحاث التى

قام بها كثير من الأدباء المختصين ، ومنهم بولارد وجريج ودوفر ولسن ، وهم الذين عمدوا إلى تحليل مؤلفات الشاعر وبحثها من الوجهة النفسية ، وهى إذا تكلمت عن هذه المؤلفات رجعت إلى الباحثين القدماء واعتمدت عليهم .

فهى إذا كانت فى مجال النقد الأدبى لم تأت بجديد ، فقد أضافت فى وصف حياة الشاعر إضافات كثيرة جلت حياة ذلك الرجل العظيم حتى تبددت أستار الأسرار التى كانت تحيط بهذه الحياة .

وهى فضلا عن ذلك قد قضت قضاء مبرما على تلك الخرافة التى أخذ يرددها أدباء انجليز وبلجيكيون وفرنسيون مرة أخرى ؛ إذ يزعمون أن هذه المسرحيات العظيمة لا يمكن أن تكون لكاتب من عامة الشعب مثل شكسبير ، ويعزونها إلى عظيم من عظماء الكتاب من أمثال لورد بيكون وسير فيليب سدنى وسير والتر رالى وغيرهم . فهى بقوة وثائقها وبكثرة هذه الوثائق لم تترك مجالا لهؤلاء الضاربين فى عالم الخيالات والباحثين عن الجديد ولو كان غير الحقيقة .

الفوضى السياسية الأوربية

عقدت مجلة «ناشنال ريفيو» ، وهى من أهم مجلات المحافظين الانجليز ، مقالا افتتاحيا فى عدد يناير لمناسبة إخفاق مؤتمر لندن الذى عقد للاتفاق على معاهدة الصلح الألمانية . ومما جاء فى هذا المقال قولها إن العالم فى هذه الفترة من تاريخ حياته الطويلة يعيش فى وقت يبدو فيه أن عناصره تعود إلى الفوضى الأولى والظلام القديم الذى كان منشأ العالم . فلم يعد الناس يتبينون الليل من النهار ، أو يحسون ثبات الأرض تحت أقدامهم . فكل ما حولهم فوضى وعدم نظام وقد أدى عدم الاستقرار فيما حولهم إلى شل حركتهم . فالناس لا يعرفون مجرى الأمور والعبارات التى ألفوا سماعها مثل القول بأن الناس ولدوا أحرارا وأنه يجب إلغاء الملكية والقوانين لكى يتمتع الناس بالسعادة ، هذه العبارات أصبحت لا معنى لها ومع ذلك فقد قامت ثورتان فى سبيل الدفاع عن المبدأين اللذين تنطوى عليهما هاتان العبارتان ، فكانت الثورة الفرنسية الكبرى للدفاع عن المبدأ الأول وها نحن أولاء نعيش ونرى ثورة الماركسيين فى سبيل الدفاع عن المبدأ الثانى . ومع ذلك — فى رأى المجلة — فقد ثبت أن نظريات ماركس خاطئة ، ومن ميزات رجال الثورة الحديثين أنهم يستعملون الألفاظ فى غير مدلولها ، فيطلقون اسم الديمقراطية على العبودية للدولة ، ومن غريب أمر هؤلاء الرجال أنهم لا يشعرون بما فى أقوالهم وأفعالهم من تناقض ، كالصيحة التى يصيح بها الاشتراكيون من الانجليز مطالبين باعتقال سير أوزويلد موزلى الذى يطالب بالفاشية مع أنهم يؤيدون فى حماسة ذلك النوع الآخر من الفاشية الذى يعرف بالاشتراكية . والعجيب فى الأمر أن كلا من الفاشيين والماركسيين يريدون العودة إلى نظام الاستعباد . فبعد أن ظل الناس يسيرون عدة قرون نحو الحرية الشخصية نرى جماعتين كلتاهما دولية وقائمة فى جميع الدول الأوربية تقريبا . وهاتان الجماعتان تطابان بفرض الاستعباد مرة ثانية ، ولا يفتح أعينهم ما تحدثه الشيوعية فى شرق أوربا فتجد فى فرنسا مئات من الفرنسيين يقاتلون فى سبيل

تنفيذ أعراض روسيا بالقضاء على حريتهم، وهذا مثل من أمثلة الجنون الذى تبتلى به الجماهير أحيانا وإن كان ابتلاؤها به نادراً

لقد انعقد مؤتمر لندن فى ٢٥ نوفمبر وبدا الخلاف بين أعضائه لأول وهلة ، وظهر فى التوكيف تهب الرياح الباردة من الشرق. ولم تؤد الجلسات التى عقدها الوزراء إلى تدفئة الجو ؛ فقد أراد مسيو مولوتوف أن يبدأ بمناقشة الاجراءات لاعداد معاهدة الصلح الألمانية ، وأبدى الوزراء الآخرون أن الاجراءات تتوقف على الاتفاق أولا على الموضوع ، وأنهم على كل حال يريدون البدء بوضع المعاهدة النمساوية. وعندما ثبت مسيو مولوتوف على موقفه كما هى عادته تراجع الوزراء الآخرون — كما كان ينتظر الروس بلا شك — لكى يجتنبوا إخفاق المؤتمر منذ البداية. وحينئذ أخذ مولوتوف يلقى الخطب التى أعدها لآذان الألمان خاصة . وكانت نظريته تمثل الحكومة السوفيتية بأنها ملحة فى إبرام الصلح سريعا وراغبة فى تأليف حكومة ديمقراطية لألمانيا بأسرها، وأنها بوجه عام تقاتل فى خبايا النصوص وحيدة من أجل إقامة سلم « ديمقراطى » . وكان من الطبيعى أن يكون الخلاف بين الوزراء كبيرا. وما قاله مولوتوف لتغطية أغراضه لم يخف من طبيعتها ؛ فقد رفض مولوتوف فى المسألة الأولى ذات الأهمية وهى مسألة الأموال الالمانية فى النمسا حتى أن يعرب عن رغباته مما جعل من المستحيل الاتفاق على معاهدة الصلح مع النمسا وفى المسائل الاقتصادية التى كان يجب تسويتها قبل الاتفاق على معاهدة الصلح الألمانية . أصر المندوب الروسى على خطة موسكو ، فطالب بتعويضات تبلغ عشرة آلاف مليون دولار . وعاد مولوتوف إلى ربط مسألة التعويضات بمسألة الوحدة الألمانية ، ولم يظهر أى ميل نحو فهم وجهة نظر الدول الغربية فيما يتعلق بالمسائل الكبرى التى تعرض فى مؤتمر لندن .

وفضلا عن ذلك عمد مولوتوف ، كما فعل من قبل ، إلى طريقة الدبلوماسية السوفيتية بأن أخذ يكيل الاتهامات الكاذبة ويعلن البيانات المثيرة متهما الحلفاء الغربيين . وعلى ذلك لم يتم شئ نحو الوصول إلى معاهدة صلح عامة ، وصار من واجب الحلفاء الغربيين أن يتخذوا إجراءاتهم : وقد يذكر بهذه المناسبة أن الولايات المتحدة فى الحرب العظمى الأولى لم توقع معاهدة فرساى التى اشترك فى المفاوضة فيها الرئيس ولسون وتركت المولود تحمله انجلترا وفرنسا وحدهما ، وليس من جديد تحت الشمس . ويجب ألا يخامرنا العجب إذا رأينا التحالف الحربى ينتهى عند بدء الصلح ، ولا إذا انقسمت ألمانيا قسمين ؛ فان ذلك ليس فيه على كل حال ما يسوء بقية أوربا .